الصحة النفسية للطفولة العراقية بين الواقع والمتطلبات

(٢-٢)

د. كاظم المقدادي*

ارقام عشية سقوط النظام : ٥ ملايين و ٣٠٠ الف طفل يتيم و ٩٠٠ الف طفل معاق و نحو مليون ونصف المليون ارملة

متطلبات.. وخطوات واعدة

إن الواجب الوطني والإنساني يتوجب أخذ الآثار المار ذكرها وتداعياتها بنظر الإعتبار، الى جانب تأمين الرعاية الخاصة للضحايا.وهذا ما أشارت إليه أعمال الندوة الوطنية، التي أفتتحت في بغداد، في ٢٩ أيلول المنصرم، وكرست لمناقشة حال الخدمات الصحية والنفسية للأطفال في العراق، حيث تناول وزير الصحة الدكتور علاء الدين العلوان، في كلمته خلالها، واقع العملية الصحية في الظروف الإستثنائية التي يعيشها البلد، والمشاكل والإضطرابات النفسية التي تعتري الطفولة العراقية والنتائج السلبية المترتبة عليها، والأستراتيجيات المعتمدة لحل هذه المشكلات، بالتعاون مع وزارات العمل والشؤون الإجتماعية، والتربية، والتعليم العالي.

وأبرزت كلمة الدكتور عبد الكريم سلمان العبيدي-رئيس الجمعية العراقية للصحة النفسية للأطفال موضوعة الطفل بإعتباره اللبنة الأساس في الأسرة. وقدم الدكتور مناف الجادري- رئيس الجمعية العلمية العراقية للصحة النفسية محاضرة بعنوان: "الطب النفسي للأطفال في العراق بين الواقع والمتطلبات" تناول خلالها الإحتياجات الآنية والمستقبلية للأطفال في ظل الإمكانات المتاحة، مشدداً على ضرورة تولي مسؤولية الطفل من قبل شرائح المجتمع كافة، والإهتمام بالطب النفسي للأطفال والسبل المعتمدة لتطويره.

وإستعرض الدكتور الحارث عبد الحميد- رئيس مركز البحوث النفسية للطفل في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ورقة عمل تضمنت موضوع الصحة النفسية في بلدان العالم المتقدم بوصفها الشغل الشاغل للمؤسسات الرسمية ذات العلاقة والمنظمات غير الحكومية على حد سواء، مشيراً الى تخبط الصحة النفسية في العراق على مدى عقود من الزمن لغياب المنهج والنظام المتكاملين لرعايتها،عدا الجهود الفردية المبعثرة هنا وهناك ومن اطراف ومؤسسات تشعر كل منها انها الطرف الوحيد الذي يجب ان يتحمل عبء المسؤولية الوطنية في التأسيس والاشراف على الصحة النفسية.

وتناول السيد إسماعيل زاير-رئيس تحرير صحيفة" الصباح الجديد" العالم النفسي للطفل الذي يولد في العراق مقارنة مع الطفل الذي يولد في الدول المتقدمة، منوها الى أنه من دون تعليم الطفل ودعمه، وتأسيسه تأسيسا انسانيا، لا يوجد مجتمع سليم، ولا توجد عائلة سليمة، ولا توجد متعة وثقافة وفن وابداع من اي نوع.وأشار الى وجود الالاف من الأطفال العراقيين المحتاجين الى قائمة طويلة للغاية من الاحتياجات.وتساءل: فمن يتولى مسؤولية تلبية احتياجات هذه الفئة؟ وقال: في العالم المتحضر يخصص افضل شرائح المعلمين وارفعهم شأنا لتدريس الاطفال. اما عندنا فالامر معكوس تماما.. حيث يبقى معلم المدرسة والطبيب النفسي والراعي الاجتماعي في الظلام مثل جندي مجهول لا يلتفت احد اليه الا في مناسبات نادرة(" الصباح الجديد"، ٢٩/ ٩/ ٢٠٠٤).

في هذا السياق لابد من الإشارة الى إن تصريحات الدكتور علاء الدين العلوان- وزيرالصحة، تتسم بالصراحة والشفافية، وقد دلّ كادر وزارته على إلمام تام بحجم المشاكل الصحية والنفسية. وتقر وزارة الصحة بسوء الخدمات الطبية الراهنة، والحاجة الكبيرة للكوادر المتخصصة، وللأجهزة والمعدات الطبية، وللأدوية والعلاجات الحديثة، الى جانب أهمية إعمار المستشفيات والمراكز والمستوصفات،وضرورة تشييد المزيد منها. وهذا ما أعلنه الوزير لقناة " الشرقية" في ٧/ ١٠/ ٢٠٠٤، مبشراً ببرنامج واسع وطموح للبناء والإعمار في قطاع الصحة. وقبل هذا أعلن الوزير الحرب على الفساد والرشوة في مؤسسات الصحة.

وفيما يتعلق بالصحة النفسية، أعلن المفتش العام لوزارة الصحة الدكتور عادل محسن عبدالله ان الوزارة ومن خلال الهيئة الوطنية العليا للصحة النفسية في العراق ستعمل على تطبيق برنامج متطور جداً خاص بعلاج المرضى النفسانيين.وأضاف ان الهيئة تعمل على إستحداث أقسام جديدة في المستشفيات الأهلية يخصص لها من ٢٠-٣٠ سريراً خاصة بالإضطرابات النفسية، ويعمل في هذه الأقسام أطباء إختصاص، الى جانب خبراء في علم النفس والإجتماع، حيث يخضع المريض الى علاج أولي، بعدها يتم إقرار إخراجه او تحويله الى المستشفيات المختصة.وبين ان البرنامج الجديد يشدد على علاج المرضى داخل المجتمع وعدم إبقائهم في المصحات التي تؤدي الى تدهور حالة المريض وعزلته عن الأسرة والمجتمع.

وعلى الصعيد نفسه قررت وزارة الصحة إستحداث مركز جديد للطب النفسي التخصصي للأطفال وعدت بأن يكون من المراكز المتقدمة في تشخيص وعلاج الأمراض النفسية والعصبية للأطفال دون سن الـ ١٨ من العمر، ويكون الأول من نوعه في العراق والمنطقة.كما سيعمل المركز كمكان تدريبي للكوادر الطبية (أطباء أمراض نفسية،أطباء أطفال-أمراض عصبية، طب المجتمع والعائلة، إختصاصيي علم النفس والإجتماع، معلمي التربية الخاصة وبطيئي التعلم والتمريض النفسي)،إضافة الى إعداده ليكون مركزاً للبحوث في مجال الطب النفسي والعصبي للأطفال، ومكاناً لإقامة المؤتمرات العلمية الوطنية والعالمية، فضلاً عن التعاون والتنسيق بما يخص المشاكل التقنية مع الهيئات الحكومية وغيرها المحلية والخارجية ومركزاً للتوعية الإجتماعية للمواطنين حول المشاكل النفسية.وستعمل الوزارة على تشكيل هيئة لمتابعة نظام الرعاية الصحية النفسية للأطفال في العراق، تضم ممثلين عن وزارات الصحة والتربية والتعليم والعمل والشؤون الإجتماعية ووزارة حقوق الإنسان والعدل ومجلس القضاء، وتنضم إليها منظمة "اليونيسيف" والجمعية والعراقية للصحة النفسية وأي جهات مهمة أخرى("النهضة"، في ٣/ ١٠/ ٢٠٠٤).

وتأكيداً لهذا، وإهتماماً منها بخطورة المشاكل الصحية والنفسية، خطت وزارة الصحة العراقية خطوات هامة في سبيل معالجة قضايا الصحة النفسية الراهنة في العراق. فقد أنجزت مسودة قانون الصحة النفسية، التي نوقشت في مجلس الدولة، وسيتم عرضها على رئاسة مجلس الوزراء.هذا ما أعلنه الدكتور صباح فخر الدين- المستشار الوطني للصحة النفسية بالوزارة. وأضاف ان الهيئة الوطنية تبنت إنشاء وحدات للصحة النفسية في جميع أنحاء العراق بدعم من الدول المانحة بمبلغ ٦,٥ مليون دولار، حيث بوشر العمل في هذا المجال، اضافة الى اقامة دورات متعددة للعاملين في مجال الصحة النفسية داخل العراق وخارجه. وأفاد بانه تم إشراك العاملين في هذا المجال بدورات تدريبية في بريطانيا وكرواتيا، مشيرا الى ان هناك مداولات مع الكلية الملكية البريطانية ووزارة الصحة الأميركية لابتعاث العاملين في مجال الصحة النفسية العراقية للتدريب هناك. وأشار فخر الدين الى ان هناك اقتراحا قيد الدراسة لإنشاء مركز وطني للصحة النفسية (" الشرق الأوسط"، ١٦/ ٩/ ٢٠٠٤).

إن إصدار قانون حديث للصحة النفسية، وإنشاء وحدات للصحة النفسية في أرجاء العراق، وتأسيس مركز وطني للصحة النفسية،يدير ويشرف على نشاط الوحدات المذكورة، ويقوم بالدراسات والأبحاث ووضع المعالجات المطلوبة لمشاكل الصحة النفسية الراهنة، خطوات تستحق التثمين والتقدير، وهي إجراءات آنية وملحة وعاجلة تتطلبها التركة الثقيلة والخطيرة من الأمراض النفسية والعقلية والعصبية،التي خلفها النظام الفاشي، وضحيتها الأساسية هم براعم حاضر ومستقبل الشعب العراقي.

مهمة وطنية عاجلة

يشهد ويلمس الجميع أن المشاكل الصحية والنفسية والعقلية، خصوصاً وسط أطفال العراق وشبيبته، هي ظاهرة جلية.وهي ظاهرة خطيرة، حيث يؤكد الباحثون المختصون أن خطورتها جميع لن تقتصر على الجيل الحالي، وإنما ستطول الأجيال اللاحقة، بكل تأكيد، وستنعكس تداعياتها طويلاً على المجتمع العراقي. لذا وإنطلاقاً من مخاطرها الإجتماعية لابد من إهتمام إستثنائي من قبل المسؤولين العراقيين،راهناً ومستقبلاً، وفي مقدمة ذلك التعجيل بإجراء دراسات طبية وعلمية تشمل كافة أطفال العراق الأحياء، لتقييم حجم المشكلة، والعمل الجدي والعاجل، أيضا، لمعالجة المرضى، ورعايتهم، بإشراف مؤسسات متخصصة، طبية ونفسانية وتربوية وإجتماعية. ولاشك في ان خير من ينظم ذلك ويديره هو مركز وطني للصحة النفسية، يقود عمل الوحدات الخاصة بالصحة النفسية فيجميع أرجاء العراق.

من هنا ضرورة التعجيل بإنشاء المركز الوطني للصحة النفسية والوحدات التابعة له، الى جانب صدور قانون الصحة النفسية.وهنا لابد من ملاحظة: مع تقديرنا وثقتنا بأن لدى وزارة الصحة كوادر كفء لإعداد مسودة القانون، إلا أنه كان يتعين نشر المسودة وطرحها للمناقشة- كممارسة ديمقراطية مفيدة- من شأنها ان تغني المسودة من قبل الباحثين الآخرين،لاسيما ان التوجه الحديث السائد في الدول المتقدمة هو ان تنهض بمهمة معالجة مشاكل الصحة النفسية مؤسسات متخصصة، طبية ونفسانية وتربوية وإجتماعية..

وخلاصة القول: إن إنجاح مهمة معالجة مشاكل الصحة النفسية للطفولة العراقية يستلزم تضافر جهود المجتمع والعائلة والمدرسة والمؤسسات الصحية والنفسانية. ولابد لمنظمات المجتمع المدني ان تلعب دورها الفعال في هذا المضمار، الى جانب وزارة الصحة، و الجمعيات النفسية العراقية.ولن تتحقق المهمة بنجاح، في المرحلة الراهنة، من دون طلب المساعدة من منظمة الصحة العالمية، والجمعية العالمية للصحة النفسية، ومؤسسات أخرى!

ويتعين أن ندرك جميعاً أنه كلما عجلنا بمساعينا هذه كلما خففنا من وطأة المشكلة، خصوصاً إذا ما وضعنا نصب أعيننا أن الطفولة العراقية- براعم حاضر ومستقبل شعبنا-هي الضحية الأولى. وإذا أردنا أن نبني عراقاً حراً ومستقلاً وديمقراطياً حقيقياً، ينبغي أن نولي قضيتها أقصى إهتمامنا ورعايتنا، فهذا ما تقوم به الأمم المتحضرة، مفتخرة ومتباهية بصحة ورفاهية وسعادة أطفالها!

* طبيب أطفال وباحث عراقي مقيم في السويد

من خفايا التواطؤات الأمريكية مع القاعدة وطالبان لغز اختفاء آغا حسن عابدي

زهير كاظم عبود

ثمة أسرار لابد من متابعتها والتمعن في تفاصيلها ونتائجها ، ومن بين القضايا المثيرة التي لم يزل لها تأثيرها في المنطقة قضية المخدرات والافيون.

ولعل أفغانستان من بين عدد من الدول المشهورة بغزارة أنتاجها من الأفيون وتداوله وتعاطيه من قبل اهلها وتصديره الى الدول المجاورة.

أن افغانستان تقع بين شبه القارة الهندية والصين وايران وعلى حدود منطقة القوقاز والجمهوريات الطاجيكية والأوزبكستانية، وتنتشر زراعة الأفيون التي يقوم بها زعماء العشائر بشكل كبير في أفغانستان حيث تنتشر في المنطقة المحادة لهذه الجمهوريات لأسباب سياسية وأمنية حتمتها ظروف الحرب الباردة ومحاولة نخر الجسد السوفيتي من قبل المخابرات الأمريكية قبل ان ينتهي الى قطع وأجزاء ضعيفة وخاوية ، كما يكثر تعاطي المخدرات وتناول الأفيون بكثرة بين أبناء المجتمعات الفقيرة والمتخلفة ومن بينها المجتمع الأفغاني الذي يتشكل من أعراق وقبائل مختلفة تشكل المجتمع الأفغاني لعل الهزارا والبشتون من أهم هذه القبائل ضمن هذا المجتمع بالأضافة الى ألاعراق الوافدة من الأراضي الروسية والجمهوريات المحادة لأفغانستان.

ولأعتبارات أمنية ستراتيجية وضرورات عسكرية وعقائدية تم أختيار أفغانستان لتكون الأرض التي تمارس منها اللعبة الدولية حين سيطرت مجموعة من الضباط الثوريين على السلطة في أفغانستان وأعلان الحكم الشيوعي فيها.

بادرت المخابرات المركزية الى تبني عمليات المعارضة والتخطيط لأسقاط السلطة والأعتماد على مجموعة الجهاد الأسلامي المتطرفة والزعم بضرورة تطهير البلاد من الفكر الشيوعي الملحد والوافد والمعادي للاسلام !!

ولما كانت العلاقة المباشرة بين المخابرات المركزية وبين التنظيمات الدينية المتطرفة غير ممكنة أو مستحبة في الاعلان على الملأ فقد أوكل الأمر الى السيد (آغا حسن عابدي) وهو باكستاني الجنسية والرجل خبير في أعمال البنوك وله خبرة في القضايا الأقتصادية والمالية ،وبعد أن درس مشروعه والساحة المناسبة للعمل حصل على ترخيص تأسيس بنك بأسم (بنك الأعتماد والتجارة الدولي) وقام بتأسيس البنك في دولة الأمارات العربية المتحدة ويكون له مقر رئيسي في لندن .

البنك كان المشروع الذي التصق باسم (آغا حسن عابدي) الذي بدأ اسمه ينتشر بين الأوساط السياسية قبل المالية والاقتصادية وأصبح اسم السيد عابدي معروفاً ومحترماً في الأوساط المالية والشركات والأعمال وفي قضايا الائتمان والودائع المالية والأستثمارات وتعدى ذلك ليكون أحدى الشخصيات المعروفة عالمياً ولهذا حاول السيد عابدي أن يستغل تلك السمعة وأن يطرح نفسه خارج سياق الأعمال التجارية كاسم لشخصية يمكن الأعتماد عليها والاطمئنان لها في عملية الصراع في المنطقة ، السيد عابدي لم يكن فقط مؤسس البنك وانما رئيس مجلس ادارته، والمسيطر القدير على كل مفاصل هذه المؤسسة المالية الكبيرة ، والذي كان يتصف بالمرونة والتعامل المالي وفق طرق تتناسب مع التطورات السياسية وحاجة البلدان التي حل فيها البنك وفروعه.

ولعل أسماء الشركاء والمساهمين في تأسيس البنك زاد من الأهمية السياسية والمالية ومكانة البنك، حيث يكون اسم السيد مسؤول في المخابرات السعودية من بين أبرز الأسماء الداعمة للمسيرة المالية والسياسية للبنك.

وفي ساحة أبو ظبي بالاضافة الى كونها عاصمة الامارات العربية المتحدة فأنها تتمتع بمكانة تجارية عالمية معروفة، ومن خلال تلك الساحة التي تعج بالبنوك والشركات والمكاتب التجارية، تمكن البنك المذكور من تبوؤ ساحة واسعة فيها ومن ثم يمتد نشاطه الى ساحة الشرق الأوسط ليصبح واحداً من أبرز وأكثر البنوك في المنطقة قدرة ونشاطاً وحيوية وحركة بل ومن بين أقدر البنوك في الأسواق المالية ، غير أن هذا الأمر لم يمنع البنك المذكور من ألقيام بصفقات مالية مشبوهة والقيام بعمليات غسيل أموال وترتيب صفقات بيع وشراء الافيون المنتج في أفغانستان.

كان البنك المذكور القاعدة المالية والرصيد القوي لمنظمة الجهاد الأسلامية المنغمسة في العمليات العسكرية ضد الاحتلال السوفيتي لأفغانستان وضد السيطرة الشيوعية بزعم أنها ضد الأديان وتمثل الالحاد العالمي وان قتالها واجب شرعي تنفيذاً لفتاوى شرعية .

اعتمدت الجهاد وبمعرفة بنك الاعتماد و التجارة الدولي على عمليات مالية نتيجة بيع وتصدير الأفيون، أذ شكلت تجارة الأفيون المدعومة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية بسبب كون منظمة الجهاد الاسلامي تعمل لصالحها أولاً، كما أن زعماء القبائل والعشائر الأفغانية يعتاشون من هذه التجارة ويعتمدون على مردوداتها المالية ثالثاً، وقد جرى تشجيع تمويل الجانب السوفيتي والايراني من مادة الأفيون بالنظر لما تسببه من مشاكل الادمان والاعتياد والتعامل بالبيع والمضاربة وانشغال المجتمع بقضية الأفيون التي تصب في صالحها.

عمل البنك المذكور بجد ونشاط ملموس طيلة سيطرة الشيوعيين على السلطة في أفغانستان وطيلة فترة الغزو السوفيتي للبلاد، وكان يعتمد الساحة الباكستانية كقاعدة في ادارة أعماله الخاصة بأفغانستان.

واستمر التعامل مع السلطة الجديدة التي اطاحت بسلطة الشيوعيين وأبدى البنك المذكور تعاملاً خاصاً مع مجموعة طالبان، باعتبار ان المساعدات والدعم المالي الذي كان يقدمه المليونير السعودي من أصل يمني (أسامة بن لادن) ملموساً ويفي بالموجبات التي تتطلبها المعاملات والدعم ورصانة الأرصدة.

وبعد أن سيطرت طالبان على الجزء الكبير من افغانستان وبدأت المعارك تشتد بين الفصائل الأفغانية المتحاربة، وتوضحت بوادر الحرب الأهلية والتمزق والتشرذم الذي أصاب الحركات المسلحة في أفغانستان طبقاً للمكونات الجغرافية الأفغانية والولاء الطائفي والديني والعشائري الذي كان يطبق على عنق المجتمع الأفغاني، حيث تشكل مدينة مزار شريف عاصمة للشمال في حين تكون مدينة (هيرات) عاصمة للوسط، اما (قندهار) فهي العاصمة الجنوبية وهي نتيجة حتمية مرسومة لجزء من اللعبة الدولية التي ترسمها الولايات المتحدة كونها اللاعب الكبير المهيمن في العالم.

في هذا الوقت بالذات انتهت المهمة المنوطة ببنك الاعتماد والتجارة الدولي، كما أن عمليات تجارة الأفيون لم تعد منظمة كالسابق ولم تكن جميعها تتم بمعرفة البنك المذكور ولا بمعرفة الولايات المتحدة الأمريكية، وبالرغم من استمرار نجاح عمل البنك في الأوساط المالية والتجارية الا أن الولايات المتحدة الأمريكية أوعزت الى (آغا حسن عابدي) بألغاء دعمه وتعامله مع منظمة القاعدة والجهاد لأسباب مجهولة .

وفجأة وعلى حين غرة أنتقل السيد عابدي الى باكستان بلده الأصلي، وظهرت قضايا لم تكن في البال ولا في حساب المحللين الأقتصاديين اتضح فيها أن البنك كان يعمل فوق سطح قلق غير ثابت وأنه كان وهماً مبنياً على أساس من الرمال، فقد تبين أن أموالاً بأرقام ضخمة كان يتم تحويلها الى منظمة الجهاد في أفغانستان لاستثمارها في العمل ضد السلطات الأفغانية الشيوعية وضد الأحتلال السوفيتي الذي كان يشكل الخطر الأكبر على الوجود الأمريكي في منطقة الشرق اذا ما أخذنا بالحساب الوجود السوفيتي (قبل الانهيار) والصين الشعبية وايران وأفغانستان موضوعة العمل المركزي للولايات المتحدة الأمريكية.

وحين بدأت التحقيقات والمحاكمات بشأن اعلان البنك المذكور أفلاسه، وردت أسماء عديدة من بين المساهمين الفاعلين في تمويل العمل العسكري وتوظيف المشاعر الدينية وعمليات التدريب وتهريب السلاح والأنفاق على المعلومات من أسماء معروفة، مع أن التحقيق طال العديد من الكوادر المالية التي كانت تعمل في البنك المذكور بحسن نية.

ومن المفارقات الطريفة الجديرة بألاهتمام أن الكاتب ألأميركي (جون كولي) أورد في الصفحة ٣٢- الفصل الثاني من كتابه ((حروب غير مقدسة)) أن أسرائيل عرضت على وكالة المخابرات المركزية كمية من السلاح السوفيتي ذكرت انها أستولت عليها من خلال حروبها مع الجيوش العربية التي تركت تلك الأسلحة كغنائم بيد القوات ألأسرائيلية، وقام الوسطاء في وكالة المخابرات المركزية بتمرير صفقات الأسلحة المذكورة مقابل الثمن الذي دفعته منظمة الجهاد الى أسرائيل بعلمها أو ربما دون علمها عن طريق الصندوق المالي المشترك لدعم الجهاد الأسلامي في أفغانستان والذي تموله المملكة العربية السعودية ودول خليجية أخرى ومهما كان الأمر فقد اتفقت الجهاد والمخابرات الاسرائيلية والمخابرات المركزية على هدف واحد.

ان المخالفات المالية التي تم كشفها واجراء التحقيق بموجبها أرقام تتناسب مع حجم الانفاق وموجباته حيث أشارت بعض المصادر أن المبلغ بين ١٢ - ١٤ مليار دولار أمريكي بينما تشير مصادر أخرى من بينها عميد الصحافة الباكستانية السيد احمد رشيد أنها ٤٥ مليار دولار تم تمريرها من خلال بنك الاعتماد والتجارة ، بينما تشير بعض الدراسات الى أن خسائر البنك الدولي المذكور تصل الى ٩ مليارات دولار.

اختفى السيد (آغا حسن عابدي) بالرغم من ان الأسماء التي طالها التحقيق وتمت تسويات مالية من أبرزها مع مسؤول سعودي قام بدفع مبلغ ٨٠ مليون دولار لتخليص ذمته كعضو في مجلس ادارة البنك المذكور.

غير أن السيد عابدي الذي كان مؤسساً ورئيساً لمجلس أدارة البنك المذكور لم يدفع مبلغاً من المال ولم تتم التسوية معه بعد أن انتقل من الباكستان الى الولايات المتحدة الأمريكية دون أن يكون مشمولاً بمنع السفر أو تسديد ماتبقى بذمته كرئيس لمجلس الادارة لبنك الاعتماد والتجارة الدولي بالنظر لكون ثروته المالية تصل الى ٢٠ مليار دولار يعمل بها من داخل بيته في الولايات المتحدة والذي أعده قبل أن ينهار البنك المذكور وتصل الأمور الى تصفيته واعلان افلاسه وترميم واقع الحال ليشمل العديد من المساهمين والعاملين الأبرياء في المؤسسة المالية الكبيرة المذكورة.

وبقيت مسألة تجاوز اسمه من بين الأسماء التي طالها التدقيق والتحقيق وانسحابه من الوسط المالي والتجاري والشركات والسياسي لغزاً لم يجد له حلاً من المحللين ولا تطرق له كاتب أو صحفي سواء في الباكستان بلده الأول أم في دول الخليج العربي ساحة العمل التي بدأ بها مشاريعه أو في الولايات المتحدة الأمريكية بلده الأخير حيث يقيم.

والسيد عابدي جزء من اللعبة الدولية التي بدأت في أفغانستان وانتهت في العراق، ربما تتوفر عنده المعلومات التي تكشف جانباً صغيراً من أسرار العلاقة بين الولايات المتحدة وأسامة بن لادن ومنظمته الارهابية والصناعة الأمريكية (القاعدة)، أو لبقية التنظيمات الدينية المتطرفة التي لم تزل تعمل في الساحة العالمية والتي بدأت تحصد ثمار افعالها في الحاقها الاساءة البليغة والكبيرة بالإسلام والمسلمين حين يصير الفعل الارهابي والدعوة للقتل صفة من صفات الإسلام وهو منها براء.

الضباع

د. إحسان الطرابلسي*

> بالأمس وفي الأقصر، تابع مثقفو مصر مساندة الارهاب في العراق. فبعث مئتان من المثقفين المصريين التحية "الثورية" المباركة والحارة إلى ما سمّوه بـ"المقاومة" العراقية في افتتاح مؤتمرهم السنوي ٢٩ ايلول ٢٠٠٤ ، متمنين أن يتحول العراق الى فيتنام ثانية. وكان شعار مؤتمرهم هو (الاصلام من منظور ثقافي) والإصلام برأي هؤلاء المثقفين المصريين هو مساندة الارهاب ، وتحويل العراق إلى فيتنام ثانية! تصوروا شرف جزء من الثقافة المصرية إلى أي حد وصل؟ لقد وصل إلى تحويل العراق إلى فيتنام ثانية!

عتبي وفجيعتي الكبرى بهؤلاء المثقفين الذين تحولوا إلى ضباع الغابة من أمثال حامد عمار وأحمد أبو زيد ومحمود اسماعيل ونبيلة ابراهيم وفريدة النقاش وسامي خشبة وقاسم عبده قاسم ومصطفى رجب وناجي فوزي وشبل بدران ومحمد السيد سعيد وغيرهم، وهم من كنا نظن بأنهم اليسار المصري المنفتح والحداثي والليبرالي المتنور.

هل سقطت ورقة التوت عن الجميع، وانكشفت حقيقة اليمين واليسار المصري؟

لا صوت عاقلاً واحداً يخرج الآن من أرض الكنانة من الأصوليين القوميين والدينيين يقول الحق ويخاطب العقل، غير أصوات قليلة جداً وخافتة وحيية، تجاه هذه الأمواج من الطغيان الثقافي والإعلامي المصري الذي نطالعه صبحاً ومساء.

إن هؤلاء المثقفين والإعلاميين المصريين الذين يريدون تحويل العراق إلى فيتنام ثانية، قد تحولوا إلى ضباع يلعقون دماء الضحايا العرب.

بعض المثقفين المصريين لهم غواية شديدة (وتلك عقدة التسيد والاستعباد منذ أيام الفراعنة) في أن يكونوا أسياد القرار العربي، وهم ليسوا أسياد أنفسهم في معظم الأحيان.

فها هو الدكتور مصطفى الفقي، رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشعب المصري يقول إن إسرائيل انتهزت فرصة الغزو، الذي قادته الولايات المتحدة للعراق العام الماضي، لنشر عدد كبير من عملائها في المناطق الكردية شمالي البلاد بهدف التجسس على كل من إيران وسوريا.

وقال الفقي في حديث للتلفزيون المصري إن إسرائيل موجودة بقوة في شمالي العراق وتمارس نشاطات تجسسية على الدول المجاورة. وتعليقاً على نفي إياد علاوي ، أثناء زيارته الأخيرة لواشنطن، وجود إسرائيليين في العراق، قال الفقي إن المسؤولين العراقيين يمكنهم النفي كما يريدون، واستدرك مؤكدا "ولكنها الحقيقة"، وأضاف الفقي أن العراق تحول إلى مركز لكل من يريد محاربة القوات الأمريكية.

ولم يقل لنا مولانا الفقي من أين حصل على هذه "الحقيقة" المصرية التي تشبه الحقائق المصرية الأخرى التي أودت إلى الكوارث والدواهي، وما هي براهينة، أم أن الحقائق المصرية لا تحتاج إلى برهان؟!

لماذا يُعلق الفقي على الوجود الإسرائيلي المزعوم في العراق، ويُغفل ما يحدث في مصر من وجود اسرائيلي رسمي، وعلى عينك يا تاجر ؟

ما للفقي والعراق!

ثم هل العراق وحده هو الذي فيه وجود اسرائيلي ؟

لقد أصبحت اسرائيل بعد نصف قرن من نوم العرب في العسل، حقيقة سياسية وتاريخية في المنطقة رضينا أم لم نرض. وهي موجودة تحت مخدة معظم الحكام العرب والمثقفين العرب.

اسرائيل يا مولانا الفقي في داخل مجلس الشعب المصري، الذي أنت أحد أعلامه، وتحت مقاعد اعضائه، قبل أن تكون في شمال العراق، أو في جنوبيه كما تدّعي.

فلا تضرب يا مولانا الفقي الشعب العراقي بحجارة حقدك، وبيتك.. بيت الشعب المصري من زجاج.

ويا ضباع مصر من المثقفين: تضبضبوا واستحوا وكفوا عن لعق دماء الشعب العراقي الزكية، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين.